

الدرس النحوي في ضوء النظرية الخليلية الحديثة

عند عبد الرحمان الحاج صالح

الطالبة: سمراء شلواش

جامعة الحاج لخضر - باتنة 1 - (الجزائر)

الملخص:

اللغة العربية بنحوها تشكل رافدا من روافد الفكر الحضاري الجديد ، فقد برز مجموعة من المحدثين و الذين اختلف شأنهم في تصور هذه الحركة التجديدية للنحو العربي ، والتي فرضتها مجموعة ظروف منها التطور والعصرنة ، فقد سعت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على علم من أعلام القطر الجزائري والعربي ألا وهو الأستاذ الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح ، إذ قرأ التراث النحوي العربي الأصيل قراءة دقيقة معمقة، ومن جهة أخرى تتبع ما توصلت إليه أبحاث اللسانيات الغربية ، الأمر الذي أفضى به إلى وضع نظرية خليلية جديدة، و كشفت الدراسة عن المفاهيم الأساسية لهذه النظرية وأهم مبادئها وكيفية استثمارها بصورة عملية في تعليم النحو.

Abstract:

The Arabic language, by its grammar, constitutes a tributary of the new streams of cultural thought A group of modernists emerged, but they differed in their perception of this innovation movement of the Arabic grammar, were influenced by a variety of conditions including evolution and modernization. This study sought to shed light on one of the most important figures in Algerian and Arab countries "Dr Abdulrahman Al- Haj Saleh , who read the original Arabic grammatical heritage in depth and on the other hand followed the findings of the research of Western linguistics , which led to development of a new Khalil theory . The study revealed the basic concepts of this theory and its main principles and how to invest them practically in teaching grammar .

مقدمة:

لعبد الرحمان الحاج صالح مشاريع علمية رائدة ، والنظرية الخليلية الحديثة أحد هذه الإنجازات ، تعمل على ترسيخ الفكر النحوي الأصيل ، فهي قراءة للتراث النحو العربي ينافس بها صاحبها ما ظهر من نظريات نحوية حديثة متعددة ، يحسب للنظرية الخليلية إعادتها الاهتمام بمبادئ النحو العربي ، كفكرة العامل التي كثيرا ما طعن فيها النحاة كذلك مبدأ الإفراد والمثال وغيرها من المفاهيم سنحاول الكشف عنها في هذا البحث .

1 - التعريف بعبد الرحمان الحاج صالح :

ولد في وهران سنة 1927م¹ ، تقدم إلى الكتاب كما يتقدم سائر طلاب العلم لحفظ القرآن الكريم ، وتعلم في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين² ، بداية دراسته كانت في مصر ، وبعدها انتقل إلى بوردو وباريس ، تحصل على التبريز من باريس ودكتوراه دولة من جامعة السوربون في باريس ، نزل أستاذا بجامعة الرباط سنة 1961م إلى سنة 1962م وجامعة الجزائر بعد ذلك.³

ومنه ف، الأحداث التي مر بها الأستاذ أثرت على حيلته العلمية ، فنشأته في جمعية العلماء المسلمين ، ثم رحيله إلى الجامعة الأزهرية ، حيث أدرك أن قيمة التراث اللغوي العربي ، وعمله في المملكة الغربية واحتكاكه بعلم الرياضيات ملها ساهمت في صقل شخصيته الفذة ، مما للرجل شغل مناصب علمية وإدارية منها على التوالي:⁴

مدير معهد العلوم	✓
	اللسانية بالجزائر .
مدير مركز	✓
	البحوث العلمية لترقية اللغة العربية .
عين رئيسا لمجمع	✓
	اللغة العربية منذ سنة 2000م
عضو المجمع	✓
	اللغوية العربية الآتية: دمشق وبغداد وعمان والقاهرة.
رئيس الهيئة العليا	✓
	لمشروع الذخيرة العربية منذ الندوة التأسيسية بالجزائر في ديسمبر 2011م
تحصل على جائزة	✓
	الملك فيصل الدولية على جهوده اللسانية العربية.

2 - تسمية " النظرية الخليلية الحديثة " :

قد تبدو تسمية " النظرية الخليلية " في ظاهرها ، نسبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وحده دون غيره ، وإنما نسبت إليه لأنه هو الأسبق في استعمال المفاهيم الرياضية لضبط نظام اللغة ، ووضع علم اللغة واخترع الشكل ووضع الحركات على الحروف ووضع معجم العين.⁵

ويقول في هذا الصدد الأستاذ الحاج صالح : "لابد من ملاحظة هامة فإن الخليل ليس هو المسؤول عن كل ما أبدعه عباقرة العلماء الأولين ؛ فهناك من عاصره وكان عبقريا مثله وأذكر من هؤلاء الإمام الشافعي ، فهو بأصول الفقه

بمنزلة النحو وعلوم اللسان.....⁶ "وكون النظرية " حديثة" فإن صاحبها لم يكن مجرد مفرغ لمعلومات قديمة في كراسات حديثة ، بل مازج بين الدراسات القديمة وتمثلها أحسن تمثيل ، وبين الدراسات الحديثة بدءا من بنوية دو سوسير التي أخذ عليها مأخذ كثيرة ، إلى النظرية التوليدية التحولية التي أشاد بها في كثير من المواقع باعتبارها تتماشى في كثير من أبعادها مع خصائص اللغة العربية"⁷

3 - مبادئ ومفاهيم النظرية الخليلية الحديثة :

تستمد النظرية الخليلية الحديثة مبادئها من نظرية النحاة العرب الأوائل ، كما لها رؤية لسانية حديثة مستمدة من اللسانيات الغربية ، فهي قراءة للتراث النحوي العربي ، إذ اعتمد العلماء العرب القدامى ، وزعيمهم في ذلك الخليل بن أحمد على عدد من المفاهيم والمبادئ لتحليل اللغة ، فلخصها عبد الرحمان الحاج صالح فيما يلي :

3.1 - مفهوم الاستقامة :

يقول سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة : " فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب ، فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، وسأيتك غدا ، ، وأما المحال : فأن تنقض أول كلامك بآخره فنقول : أتيتك غدا ، وسأيتك أمس ، وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ، ونحوه ، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك : قد زيدا رأيت ، وكى زيدا يأتيتك وأشباه هذا . وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس " ⁸

يعتبر الأستاذ هذا النص أنه أول نص يميز بين السلامة الرجعة إلى اللفظ { ويعني بها المستقيم الحسن والقبيح } ، والسلامة الخاصة بالمعنى { المستقيم المحال } بعد ذلك يميز بين السلامة التي يقتضيها القياس و السلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين ، ولخص لنا الأستاذ هذا التمييز كما يلي : ⁹

مستقيم حسن :	✓
مستقيم قبيح :	✓
مستقيم محال :	✓

سليم في القياس والاستعمال معا .
خارج عن القياس وقليل في الاستعمال
سليم في القياس والاستعمال ولكنه غير سليم من حيث المعنى .

3.2 - مفهوم الانفراد وحد اللفظة :

اكتشف الأستاذ أن منطلق النحاة الأوائل في تحليل اللغة هو الاسم المظهر ، باعتباره النواة أو الأصل الذي تتفرع منه أشياء أخرى ، وهو أقل ما ينطلق به مما يفصل ويبتدأ ينفرد ، فقد سُمي النحاة الأولون هذه النواة بالاسم المفرد ، وسماها ابن يعيش ، والرزيقي باسم اللفظة¹⁰ . وحدد الأستاذ التفرع من هذه النواة من خلال عمليات زيادة قبلية وبعديّة ، وقد سُمي النحاة هذه القابلية للزيادة يميناً ويساراً "التمكن " ولاحظوا أن لهذا التمكن درجات وهي كالآتي:¹¹

الجنس	اسم	✓
		المتصرف هو المتمكن الأمكن .
من	الممنوع	✓
		الصرف فهو المتمكن غير الأمكن .
المبني	فهو غير	✓
		المتمكن ، ولا الأمكن .

3 - 3 - مفهوم المثال :

يقول الحاج صالح أن مفهوم المثال تجهلته اللسانيات الغربية ، ولا يعرفه من اللسانيين الغربيين إلا من اطلع على متأثر العرب عن طريق بعض المستشرقين ، وعليه فإن مفهوم مثال الكلمة ووزنها وبنائها لا مثيل له في اللسانيات الحديثة إذ هو مفهوم عربي أصيل ، ولا يوجد ما يماثله في اللسانيات الحديثة ، فهو مفهوم إجرائي تتحدد به الحدود اللغوية ، ليس فقط في الألفاظ وإنما في كل المستويات: كمستوى الكلمة وهو بناؤها ووزنها لأنه يمثل الهيئة الصورية المجردة للكلمة ومستوى اللفظة¹² ، فمثال الكلمة هو

" مجموع الحروف الأصلية والزائدة مع حركاتها وسكناتها كل في موضعه وهو البناء أو وزن الكلمة (مثال الكلمة). ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي:¹³

الكلمة	أ ل ع ا ب
الحروف الأصلية	ل ع ب
الزوائد	أ ا
الحركات والسكنات	◌ ◌ ◌ ◌ ◌
المثال	أفعال

3 - 4 - مفهوم العامل :

يعد تيسير النحو من القضايا التي لم يفصل فيها بعد إلى يومنا هذا، وهي حركة أعادت النظر في مسائل شتى من النحو العربي فتارت على بعضها و أعادت دراسة أخرى من زوايا جديدة، سلطت عليها الضوء حركة البحث اللغوي الحديثة خاصة منها مجال اللسانيات الغربية، ومن بين القضايا التي تمخضت عن التيسير قضية إلغاء العامل، بين مؤيد

ومعارض تفصل الأدلة وتفصح عما إذا كان النحو العربي في حاجة إلى إلغاء العامل من ساحة البحث اللغوي ومن الفضاء التعليمي أو أن العامل واحد من تلك الأسس التي تقوم عليها العربية و التي لا يمكن أن تستغني عنها، وفيما إذا كانت البدائل التي جاء بها المحدثون كفيّلة بأن تتوب عن نظرية العامل أم أنّ البدائل تعترّيبها نقائص لا ترقى لتحل محل نظرية صامدة منذ سنوات عديدة .

لطالما كان العامل في النحو العربي محل انتقاد الكثير من النحاة دعاة التجديد والتيسير في النحو العربي والوصفيين منهم خاصة ، حيث يقول صاحب أبو جناح: " إنما إيغال النحويين في تفسير ظواهر الإعراب المختلفة في الأسماء والأفعال بتأثير عوامل لفظية أو معنوية بدأت سلسلة المتاعب تكتنف الدرس النحوي وتعوق مسيرة الدارسين وأخذت أساليب اللغة الفصيحة تتعرض إلى سيل من التاويلات والتفسيرات لا تخدم قضية المعنى ولا تيسر سبيل الدرس ، فامتألت كتب النحو بمئات الأمثلة والعبارات المصنوعة " ¹⁴، يعد العامل أو العمل النحوي الفكرة الجوهرية التي تتأسس عليها نظرية النحاة العرب ، وليس موضوعنا مناقشة هذه الاختلافات ، وإنما سنتتبع مفهوم العامل في ضوء النظرية الخلية الحديثة .

يرى الأستاذ أن المستوى التركيبي للجملة هو المستوى الذي يظهر في وحدات خاصة ، وأكثر تجريدا هي ؛ العامل والمعمول الأول والمعمول الثاني ومخصص وليست ناتجة عن تركيب لفظة بلفظة أخرى . ويثبت الحاج صالح هذا المستوى انطلاقا من العمليات الحملية أم الإجرائية ، فيحمل أقل الكلام وتحويله بالزيادة مع إبقاء النواة ، فيلاحظ أن الزوائد على اليمين تغير اللفظ والمعنى ، وتؤثر في أواخر الكلام ، ويتحصل على مثال تحويلي وذلك مثل : ¹⁵

∅	زيدٌ	قائمٌ	
إن	زيدًا	قائمٌ	هنا
كان	زيدٌ	قائمًا	أمس
حسبت	زيدًا	قائمًا	غلطًا
أعلمت عمرا	زيدًا	قائمًا	حالا
أكرم	زيدٌ	عمراً	إكرامًا
أكرم	تُ	عمراً	كثيرًا
العامل	المعمول 1	المعمول 2	مخصص

يستنتج الأستاذ من خلال هذا الجدول ما يلي من الملاحظات : ¹⁶

✓ أن الأصل يتحدد

بعدم الزيادة عليه عامة ، فموضع الزيادة على الأصل فارغ ويشير إلى ذلك بالعلامة الرياضية ∅

✓ أن العامل هو الذي يؤثر ويتحكم في التركيب الكلامي ، فهو المحور الذي يبنى عليه ، وقد يكون مساويا اصفر وهذا الذي يسميه القدامى بالابتداء .

✓ المخصص هو زيادة على المجموعة النووية : عامل ، معمول 1، معمول 2، وليس زادة على الأصل الذي هو {زيد قائم }

4 - استثمار النظرية الخليلية الحديثة في ميدان تعليم النحو :

فتعليمية اللغات من الميادين التي حاول فريق بحث من الجزائريين استثمار النظرية الخليلية الحديثة فيها قصد الوصول إلى البحث الميداني العلمي التكنولوجي للنحو العربي وجاءت في المبادئ الآتية :

✓ التمييز بين ملكتين : انطلق الأستاذ من الفكرة التي مفادها أن اللغة لا تكتسب ملكة فيها إلا بالتمييز بين ملكتي الوضع والاستعمال فالملكة على هذه هي ملكتان : القدرة على التعبير السليم والقدرة على تبليغ كل الأغراض الممكنة في الأحوال الخطابية معينة ولكن منها قوانين تختص بها .

✓ اكتساب ملكة السلامة اللغوية : ويعني بها التحكم في القواعد والمعجم ويبنى على أحكام التصرف في مثل اللغة والذي يكون باكتساب القدرة على الانتقال من الأصل إلى الفروع .

✓ اكتساب القدرة على التبليغ : التمكن منه التصرف في البنى والمثل بما يقتضيه المقام ، واقتراح برنامجا وتكوين المعلمين والأساتذة في هذا الميدان على وزارة التربية الوطنية .¹⁷

تفطن الأستاذ إلى أن محاولات التسيير والتجديد بدقة تعاملت مع النحو الواصل إلينا من النحاة بمعنى أنها محاولات توقفت عند النحو العلمي كما هو مدون في كتب النحاة فلم يجزب هذه المحاولات خوض غمار (النحو العملي) بما يدل عليه من قوانين وسنن تجري وفقه الألسنة وأشار أيضا إلى أن حركة التيسير والإصلاح كانت خاضعة خضوعا تاما لتفكير اللغوي التقليدي ولا يظهر في أعمالهم أدنى أثر لعلم اللغة إلا بطريق غير مباشر .¹⁸

فقد جاءت النظرية الخليلية الحديثة تتجاوز كل المحاولات فلم تكن حبيسة التنظير فقد أثبت يحي بعطيش أنه بإمكان الاستفادة من النظرية في تعليمية اللغة العربية في عدة مجالات منها إعداد مناهج تعليمية وكذلك التركيز على المنطوق قبل المكتوب وتحقيق مبدأ الشمولية العربية ، فلا بد أن نجدها في جميع ميادين الحياة .¹⁹

وصولا إلى الخاتمة لندون فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج نجمها في النقاط التالية:

- ✓ الأستاذ الحاج
صالح لم يكن مقلداً وإن كان يتكئ على نحو القدامى، فقد أبدع نظرية خليلية حديثة التي استخدمت في مجالات حديثة كتعليم اللغات والحوسبة .
- ✓ حرص على ربط
الماضي بالحاضر ، فأحيا التراث النحوي القديم وما يميّزه من مفاهيم ومصطلحات عربية أصيلة ، فأسقط عليها التفكير الرياضي والمنهج العلمي، لإثبات القضايا المتداولة في العلوم اللغوية النظرية حالياً .
- ✓ عبد الرحمان
الحاج صالح في تفكيره النحوي ربط بين الفكر النحوي العربي الأصيل والفكر اللساني المعاصر، وكان موقفه الانفتاح على النظرية الحديثة لا الانصهار فيها.
- ✓ اقتناعه بأن يعاد
النظر في النحو العربي وتعليمه لا من واقع غربي أو ما وُجد عند النحاة المتأخرين بل من واقع النحو العربي الأصيل الذي جاء به الأولون.

الهوامش والمراجع :

- 1 - ينظر : عبد الرحمان الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، موقم للنشر ، د ط ، الجزائر 2007م، (ورقة الغلاف).
- 2 - ينظر : التواتي بن التواتي ، المدارس النحوية ، دار الوعي ، د ط ، 2008 ، ص 140.
- 3 - ينظر عبد الرحمان الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة (ورقة الغلاف).
- 4 - ينظر : فصيح مقران ، المدخل الجامع في أصول نظرية النحو العربي ، دار الوسام العربي ، ط1، عنابة ، الجزائر ، 1432/ 2011م، ص 466، 467.
- 5 - ينظر : البشير إبرير ، أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة ، جامعة العلوم الإنسانية ، فيفري 2010م ، ص 8.
- 6 - عبد الرحمان الحاج صالح ،نظرية الخليلية الحديثة ، اللغة والأدب ، معهد العربية وآدابها ، جامعة الجزائر ، 1996، ع 10 ، ص 85.
- 7 - صالح بلعيد ، مقالات لغوية ، دار هومة ، دط ، بوزريعة ، الجزائر ، 2004م، ص 58.
- 8 - أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه ، الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ج 1 ، مكتبة الخانجي ، ط3، القاهرة، 1988/1408م، ص 25، 26 ،

- 09 - ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ج 1 ، ص 218.
- 10 - ينظر : المرجع نفسه ص 219.
11. - ينظر : المرجع نفسه ص 220.
- 12 - - ينظر : المرجع نفسه ص 90.
- 13 - صاحب أبو جناح ، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها ، دار الفكر ، عمان ، ط1، 1998م ، ص 22.
- 14 - عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ج 2 ، ص 87.
- 15 - ينظر: المرجع نفسه ص88،
- 16- ينظر: المرجع نفسه ص 87،88.
- 17 - ينظر: المرجع نفسه ص54،55 .
- 18 - عمر يوسف عكاشة ، النحو الغائب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2003م. ص 41
- 19- يحي يعطيش ، الكفاية العلمية والتعلمية للنظرية الخليلية الحديثة ، التواصل ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، الجزائر ، ع 25 مارس 2010 م، ص 86

المصادر والمراجع:

- 1- أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه ، الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ج1 مكتبة الخانجي ، ط3، القاهرة، 1988/1408م.
- 2 - البشير إبرير ، أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة ، جامعة العلوم الإنسانية ، فيفري 2010م التواتي بن التواتي ، المدارس النحوية ، دار الوعي ، د ط ، 2008م
- 3 - عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، ج1 ، 2007م
- 4 - عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ج2
- 5 - عبد الرحمان الحاج صالح ، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، موفم للنشر ، د ط ، الجزائر 2007م، (ورقة الغلاف).

- 6 - عبد الرحمان الحاج صالح، نظرية الخليلية الحديثة، اللغة والأدب، معهد العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع 10، 1996.
- 7 - صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر، عمان، ط1، 1998م،
- 8 - صالح بلعيد، مقالات لغوية، دار هومة، د ط، بوزريعة، الجزائر، 2004م
- 9 - عمر يوسف عكاشة النحو الغائب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003م،
- 10 - فصيح مقران، المدخل الجامع في أصول نظرية النحو العربي، دار الوسام العربي، ط1، عنابة، الجزائر، 1432/2011م.
- 11 - يحي يعطيش، الكفاية العلمية و التعليمية للنظرية الخليلية الحديثة، التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ع 25 مارس 2010 م.